



الثورة السورية: خواطر ومشاعر (49)

لا مجاملةً بعد اليوم (2):

يا أهل دمشق: دمشق تشكوكم إلى الله

يا أهل دمشق:

أَيْقَاظُ أَنْتُمْ أَمْ نِيَامٍ؟ أَعْمَى أَنْتُمْ فَلَا تَبْصِرُونَ الدَّمْ يُهْرَاقُ عَلَى أَرْضِ الشَّامِ؟ أَصْمُ أَنْتُمْ فَلَا تَسْمَعُونَ اسْتِغَاثَاتِ الْأَرَاملِ وَالْأَيَّاتِ؟
الْبَلَادُ تُحْتَرِقُ وَأَنْتُمْ غَارِقُونَ فِي الْمَلَاهِيِّ وَالْأَوْهَامِ! كَيْفَ تَنَامُ عَيْنُ فِي دَمْشِقِ وَالْأَخْرَى الْقَرِيبِ يُذْبَحُ وَيُسْتَبَحُ فِي حَمْصَ وَفِي غَيْرِ
حَمْصٍ؟ مَنْ نَامَ وَإِخْوَانُهُ الْأَقْرَبُونَ لَا يَنَامُونَ فَلَا قَرَرْتُ عَيْنُهُ بِمَنَامٍ!

أَعْلَمُ أَنْ فِي دَمْشِقِ آلَافًا وَآلَافًا مِنَ الْأَحْرَارِ وَالْحَرَائِرِ الَّذِينَ وَاللَّاتِي مَا يَزَالُونَ يَقْفَزُونَ مِنْ حَيٍ إِلَى حَيٍ وَمِنْ مَنْطَقَةٍ إِلَى غَيْرِهَا،
يَحْمَلُونَ هَمَّ الثَّوْرَةِ وَعَبَءَ الثَّوْرَةِ وَيَدْفَعُونَ ضَرِبَتِهَا صَبِرًا عَلَى التَّنْكِيلِ وَالْاعْتِقَالِ؛ لَيْسَ خَطَابِي لَكُمْ يَا أَيُّهَا الْأَبْطَالُ، لَقَدْ طَلَبْتُمِ
الْكَرَامَةَ وَأَغْلَيْتُمِ الْمَهْنَ، مَا عَلَيْكُمْ عَتْبٌ وَلَا يُقَالُ فِيكُمْ إِلَّا خَيْرٌ مَقَالٌ. وَأَعْلَمُ أَنْ فِي دَمْشِقِ آلَافًا وَآلَافًا مِنَ الْعَبْدِ الَّذِينَ رَضَوْا
بِبَشَارِ إِلَهَهَا مَعْبُودًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهُمْ لَهُ عُبَادٌ، أَوْ اخْتَارُوهُ سِيدًا وَهُمْ لَهُ عَبِيدٌ؛ أَوْلَئِكَ لَا أَكْتَرُثُ بِتَوْجِيهِ الْخَطَابِ إِلَيْهِمْ لَأَنَّ الْبَهَائِمَ
تَعْقِلُ - لَوْ أَنَّ الْبَهَائِمَ تَعْقِلُ - وَهُمْ لَا يَعْقُلُونَ!

إِنَّمَا أَخْاطِبُ مَلِيُونَ دَمْشِقِيَّ مِنَ الصَّامِدِيَّنَ وَمِنَ النَّائِمِيَّنَ. أَيْنَ أَنْتُمْ يَا مَلِيُونَ دَمْشِقِيَّ نَائِمِيَّنَ فِي الْبَيْوَتِ؟ إِلَى كُمْ تَصْمِمُونَ وَإِلَى
كُمْ تَنَامُونَ؛ إِنَّ النَّارَ شَبَّتْ فِي الدَّارِ، فَهُلْ يَنَامُ امْرُؤُ قَرِيرَ الْعَيْنِ وَالنَّارُ تَأْكُلُ عَفْشَ الدَّارِ؟ إِنَّمَا يَجْرِي حَوْلَكُمْ مِنْ مَحَنَّ
يُنْطِقُ الْحَجَرَ الصَّلَدَ، فَمَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ؟ أَقْلَوْكُمْ أَصْلَدَ مِنَ الْحَجَرِ؛ أَمَاتَتِ النَّخْوَةِ فِي قَلْوَبِكُمْ أَمْ مَاتَتِ الْقُلُوبِ؟

لَقَدْ رَأَيْتُمْ فِي مَظَاهِرِ الشَّعْلَانِ وَغَيْرِ الشَّعْلَانِ: النَّسَاءُ يُضَرِّبَنَّ أَمَامَ أَعْيُنِكُمْ، وَأَمَامَ أَعْيُنِكُمْ تُجَرَّ مِنْ شَعْورِهِنَ الْبَنَاتُ، فَلَا
تَبَالُونَ وَلَا تَتَحْرِكُونَ إِلَّا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ خَمْسِينَ. وَمَاذَا يَفْعُلُ الْبَاقُونَ؟ الْبَاقُونَ تَسْتَحِي مِنْهُمْ دَمْشِقُ، بَلْ تَخْجُلُ مِنْكُمُ الرَّجُولَةُ يَا
أَشْبَاهُ الرَّجُالِ. نَسَاؤُكُمْ يُضَرِّبَنَّ أَمَامَ أَعْيُنِكُمْ وَيُسْحَبَنَّ مِنْ شَعْورِهِنَّ وَلَا تَبَالُونَ؟ بَرَئَتْ مِنْكُمْ دَمْشِقُ وَبَرَئَ مِنْ أَمْتَالِكُمْ جَنْسُ
الرَّجَالِ.

يَا أَيُّهَا الصَّامِدِيُّونَ النَّائِمِيُّونَ مِنْ أَهْلِ دَمْشِقِ:

دَمْشِقُ تَشكُوكُمْ إِلَى اللَّهِ، وَأَنَا أَشْكُوكُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيَشْكُوكُمْ إِلَى اللَّهِ كُلُّ سُورِيٍّ حَرَّ أَبِيٍّ يَعِيشُ فِي الْمَحْنَةِ وَيَرَاكُمْ نَائِمِيِّنَ

صامتين.

يا أهل دمشق:

أنا لا أفتني لأنني لا أبلغ أن أكون طالب علم، ولكنني سأتصدر الليلة للإفتاء، فاسمعوا مني هذه الفتوى حتى يأذن الله لعلماء دمشق الصامتين أن ينطقو بها - لو أنهم ينطقون-: إن الخروج إلى الشوارع -ثورة على النظام الظالم- فريضة عين على كل قادر منكم، ففيأثم من يقعد في بيته وهو قادر على الخروج، إلا أن يكون له عمل آخر يقدمه للثورة، كأن يكون ناشطاً في الخدمات الطبية أو الإعلامية أو سواها من الأعمال. إخوانكم في عامة سوريا يُعذّبون ويُقتلّون، وسوف تطول محنّتهم ويسقط منهم المزيد في كل يوم تتأخرّون فيه عن نصرتهم. اعلموا أن نصرتهم واجبة عليكم، وأنكم تؤاخذون بتأخركم وتقاعسكم وقعودكم وصمتكم، فتحملون في رقابكم في كل يوم يمرّ حصةً من دم شهيد جديد.

ولا تظلو أن صمتك يعصمك من سوء المصير. في يوم آتٍ، قريب أو بعيد، سوف تتحرر مناطق سوريا الثائرة وتبقون وحدكم في القيود، لن يهتمّ بكم أحد ولن يقف معكم أحد. ولماذا يفعلون؟ أليست الدنيا دينًا ووفاء؟ فماذا قدمتم للآخرين حتى تطلّبوا من الآخرين القضاء والوفاء؟

يا أهل دمشق:

إنكم تزرون وِزْرَ كل نفس يُزهقها النظام الآثم لأنكم تطبلون بقعودكم عمره وتمدّون له في الأجل، فإن يكن النظام قاتلاً فأنتم في القتل شركاء، وإن يكن مجرماً فأنتم مثله مجرمون.

المصدر: [الزلزال السوري](#)

المصادر: